

مكتبة مصر  
تقدم  
مجموعة محمد وصديقه

# س الحال مال الله

( في بنى إسرائيل )

إعداد : أمير سعيد السبحار

رسوم : عبد الرحمن بكر



الناشر  
مكتبة مصر  
٣ شارع كامل صدفى بالقاهرة

تغلب حب المال على بني إسرائيل ، واستبد بهم ، حتى ملك عليهم عواطفهم وأحاسيسهم ، كنت تسمع هذه الكلمة في كل مكان وزمان ، وكأنها المأل هو العقيدة الروحية لهؤلاء .

بيد أن هذه النزعة الغريبة ، نجح منها فريق منهم ، فلم يقيموا المال إلا حيث يجب أن يقوم ، يستخدمونه في مصالحهم ، وشتولهم ، كما أمر الله ، وفي الغرض الذي خلق المال من أجله ، لا أن يكونوا هم عبيداً له ، يجمعونه من أي طريق ، ويعملون على تجميعه بشتى السبل والوسائل ، مشروعة وغير مشروعة ، ثم لا يكونون بعد هذا كله سوى حراس عليه بدون أجر قليل أو كثير .. !!

وإذا نشأ مرض من هذه الأمراض ، ضرب الله للناس الأمثال لتلا يقبل المهتدي ، وليرتد الغال ، ويرجع إلى الصراط السوي ، والطريق المستقيم ، ثم تظل العبرة بعد ذلك قائمة إلى الأبد ، نبراساً يضيء وعلماً يهدي ، ونوراً يشع في كل زمان ومكان .. !!

وبخاصة في أمة قاومت العدالة والهدى ، مقاومة لم تعرف قوادة ولا رحمة ، وحاربت الأنبياء حرباً شعواء ، بلغت أقصى ما عرف الناس من محاربة لهؤلاء الأفاضل الداعين إلى الله .

وانتهت حكمة الله أن يكون ضابط هذا الابتلاء والاختبار ثلاثة في بني إسرائيل ، أما أولهم فأبرص ، وأما ثانيهم فأقرع ، وأما ثالثهم فأعمى .

هذا ملك يعث الله في صورة رجل ، عليه مهابة وإجلال ، يذهب إلى الأبرص ويسأله في استفسار : أي شيء أحب إليك ؟  
أي شيء أحب إليك ؟ رث هذا السؤال في أذنه للمرة الثانية ،





فلفتح عينه بقوة ، خشية أن يكون نائماً يعلم ، ولكنه رأى الشخص أمامه يسأله ،  
وينتظر الجواب ، فطرب قلبه ، فمضى يفكر : أى شيء أحب إلي ؟ وأخذ يسأل  
نفسه ، والجواب منه قريب .

ثم صمت قليلاً ، فرأى أنه فعذب القلب والنفس والروح ، وأن الأمم الدنيا لو  
تجسست ، لما كانت آلامه ، بل لرجحت آلامه على الأمم الناس أجمعين ..

وكيف لا يكون ذلك على هذا الوضع ، وهو يعالي الأم أينما حل ، وأينما  
ارتحل ، يعاليه حينما ينظر إليه أى إنسان ، عظيم أو حقير ، كبير أو صغير .. هذا  
جسمه ذو لوتين : لونه الطبعي ، ولون آخر مخالفه ، وما أقطع هذا المرض الأليم !  
إذ يجذب إلى صاحبه الأنظار . فإذا بالنفوس تشمتر ، وإذا بالناس يتعبدون ، وإذا  
بالألسنه تلوذ السيرة ، وتناثر المبتلى بالسوء .. وما أفسى النظرات حينما تلتهمها  
بدا من الجسم بدافع الفضول فحسب ! ثم إذا بهذه النظرات تبدل وتتحول ،  
فإذا هي مشفقة رالية حيناً . ساعرة مستهزئة حيناً آخر ،  
منصرفة عن هذا المنظر الأليم في غالب الأحيان .. !



إن كلَّ سعادة ومُتعة في هذه الحياة ، وكلَّ راحة وهناءة في هذا الوجود ، كان من السهل جداً أن يحظى بها ، وأن يتمتع كما يتمتع الناس ويعيش هائلاً مُنعماً كما يعيش غيره ممن هم أقلُّ منه كفاءة . وأدنى منزلة وقدرًا ، لولا هذا المرضُ القاتل ، والمنظرُ الأليم .

إذن ، فلماذا يفكرُ في الأمر ، ولماذا يوانس ويترافع ؟؟ يجبُ أن يصارح هذا الشخص بكلِّ شيء .. إنه يريد شيئاً واحداً لا غيره . يكفيه جداً أن ينعم بجلد ذي لون جميل ، ليس أجمل من جلود الناس ، وإنما مثلهم لا يطلبُ مزيداً ، ولا يرمى إلى بعيد .. وتحركَ لسانه في خوف ووجل قائلاً :

.. أحبُّ شيء إلى لونِ حسن . وجلدٌ حسن .

وكأنما أُجبت الدعوة . إذ مسحَ الملكُ ، فذهب عنه ذلك اللون القلْبور ، الذي باعد بينه وبين الناس ، وأعطى لونا حسناً جميلاً ، وجلداً جميلاً ، تشرخ له الصدور ، وترتاحُ القلوب ، وتبدأُ الأنظارُ والعيون .. !!

ونُهت الأبرصُ هذه النتيجة . وعلم أن الأمر جدُّ خطير ، وأنه ليس باهزل ، فتطَلَّع إلى شيء آخر .. تطلَّع إلى الثروة والغنى والمال ، فما دامت الفرصة مواتية ، فلماذا ينكصُ ويترافع ويؤذد ؟ يجب أن يطلب منه مورداً من موارد الرزق ، فهو فقيرٌ لا يملك شيئاً .. وقبل أن ينسَ بيتَ شقة سمح الشخص الذي أمامه يسأله السؤال الذي كان يريدُ أن يبدأ به :

.. أيُّ المال أحبُّ إليك ؟





ويخبره كذلك في المال ؟ إنه لأمرٌ عجيب .. إذن ، فالإبلُ أفضلُ ما يُطلب ،  
ولم يراجع ، إذ قال : أحب المال إلى الإبل .  
فأعطى ناقةً عشراء ، وقال له الملك : يُبارك الله فيها .. !!  
واكتفى الملك بهذا ، وتركه للقدرِ يفعلُ به ما يشاء .  
وذهب إلى الثاني وهو الأقرع . جاءه في صورة رجلٍ مهيبٍ الطلعة ، رفيع  
الشان سامي المنزلة ، فوجده على حالة لا ترضي أحداً من الفقير والذليل والمرضى  
القلير . فقال له : أي شيء أحب إليك ؟  
وصمت ، حتى يأخذ السؤالُ طريقه إلى نفس الأقرع فيحركها ، وإلى قلبه  
فيثور به .. وحقاً ، لقد أخذت العتورُ ترى في سرعة وتتابع ، أمام ناظرَي هذا  
الرجل الأقرع المسكين ..



أين رأسه من تلك الرعوس الجميلة التي لها جلدٌ نظيفٌ نقي ، وشعرٌ حسنٌ  
جمل ؟ أجل ، أين رأسه الذي تفرز غددها الدهن القلور ، الذي يسيل من حين إلى  
حين على صدغيه وقفاه ، فلا يدغ شخصاً يبصره حتى ينفر منه ويتعد عنه ، وكأنها  
يرى سباعاً ضارياً يقبل عليه ، أو أسداً مفرباً يحاول افتراسه والقضاء عليه ..

إنه يحاول أن يهني رأسه على الدوام ، فيضع عليه قلنسوةً صفيقة ، ويبالغ في  
هذا الإخفاء ، ولكن دون جدوى .. فسرعان ما تفرز الغدد هذه المادة اللزجة  
الدهنية ، وسرعان ما يراكم عليها الزراب . فتتخذ لوناً لا يُغري سوى الذباب ،  
فيجتمع عليها ، وعبثاً يحاول طرده ، لأنه لا يرتفع عنها إلا ليحط عليها مرة أخرى  
ومرات . ولا يتعد إلا ليقرب سريعاً فزيد هول منظر هذا الرأس الكريه ، الذي  
ضاق به صاحبه ، ولم يعد يطيقه بعد الآن .

ونظر ثاية إلى الشخص الذي أمامه ، فوجدته لا يزال واقفاً  
ينتظر الجواب ، فقال على الفور : — أحب شيء إلى ، شعرٌ  
حسنٌ ، ويذهب عني هذا ، قد قلّرتني الناس !

ومسحه الملك ، فذهب الداء ، وغاب  
المرض ، وأعطى شعراً حسناً . ١١





وأدركه شيء من الذُّهول ، حينما وضع يده على رأسه فلم يجد ذلك الدهن القليل ، وإنما وجد شعراً يتصاه كل إنسان يريد أن يكون رأسه سبب نعمته ، وأصل كرامته . وكان يريد أن يقر ، لئلا يحدث له شيء آخر لا يرضاه .. بيد أن الشخص الذي أمامه عاجله بقوله :

- فأى المال أحب إليك ؟

المال .. أيعرض عليه مالاً بعد هذا ؟ ، إنه لشكفيه هذه النعمة العظيمة من منع الحياة ، ولذائق الوجود ، إنه أدرك الآن قيمتها . ومحال أن يدرك النعمة إلا من فقدتها .

بيد أنه عاد إلى نفسه مرة ثانية ، فعلم أن المال لا يبد منه حقاً ، وأن هذا الشخص الذى يخاطبه لا يريد به الشر والضرر ، وإنما يرغب به الخير والصلاح . فلا مانع من أن يدلي إليه بما يحب ويريد . ولا جرم أن أحب شيء إليه هو البقر ، فقال :

- أحب المال إلى البقر .. !!

وما لبث أن وجد أمامه بقرة حاملاً ، على غير حال ، والفصل ما يتمنى أن يكون . حتى سرَّها قلبه ، واطمأن خاطره ، وأقبل عليها فى نشاط وفرح .. وقال له الملك فى وضوح :

- يبارك لك فيها .. !!

وذهب الملك إلى الأعمى ، وهو بالنسبة مسكين ، وجد من ذل الإطلام ، ورهبة الحرمان ، ما يبعث فى النفس الهوان والانكسار ، ثم قال له بلطف :

- أى شيء أحب إليك ؟



حلمٌ لذيذ ، وأملٌ تمتع ، فهل يتحقق ما يسمعه من ذلك الشخص ؟ إنه يرجو شيئاً واحداً . إنه أمنية كلِّ مُظلم العَيْن ، لا يجد للحياة لذة ولا للكون متعة ، ولا للوجود قيمة ، في أية ناحية من نواحيه .

هذا الهواء يضيق به صدره ، وهذه الشمس لا يرى ضوءها ، وذلك القمر لا يبصر نوره ، وتلك النجوم الزاهرة الرائعة ، لا يحسُّ إشعاعها الساحر الفاتن .. هذه السماء ، إنه يسمع بصفاً لونها ، وجمال أديمها ، ولكنه لا يجد هذا صدى في نفسه ، لأنه لا يراه ، ولا يشعر به .. !!

إن المناظر الجميلة لتشوقه ، ولكنه لا يجد طريقاً إليها ، لأن الحاجز بينهما حصين ، وما أفسى الظلمات حينما تراكم بعضها فوق بعض .. وإن منظر الشمس وقت الشروق وقد أَلْقَتْ بأشعتها الذهبية على جسد البسيطة ، فكسَّتها وداء من ذهب براق .. وحين تهنُّ قواها ، فتضعف عند الغروب ، فيتجدد المنظر . ولكن مع حمرة الشفق ، وجمال السماء .. إن هذا كله يسمعه ولا يراه ، فهل تجوِّد النسي وتتحقق الآمال ؟

أى شيء أحب إليك ؟

أصحيح أن في مكة قائل هذا الكلام أن يحبّه إلى ما يريد إذا أخبره بأحب شيء إليه ؟ أم هو وسوسة شيطان ، أو حديث مارد لعين ، يريد أن يسخر به ، ويلهو بأماله ويبعث بأماله ، فيستدرجه ، حتى إذا أخبره بما يريد ، لوى عنه وجهه ، وحسّر طرفه ، وابتعد ثرثاً ضحكاته ، وتتابع نكاته ؟

وماذا عليه لو رمى عن قوسه ، فرمما يصيب ؟

وتقدّم إلى الملك قائلاً في صوت رقيق ضارع :

أحبُّ شيء إلى أن يرث الله إلى بصري فأبصر به المناظر



ومسحه الملك ، فردَّ الله إليه بصره .. !!

وكأنما خرج من ظلمة الأبد ، إلى نور الحياة وفتح الوجود ، فوقف حائراً دهشاً ،  
وقد غشي ناظره الضوء ، وملك عواطفه النور ! ولم ينس في هذه اللحظة أن يشكر  
الله ، الذي أعاد إليه نعمة البصر ، وتجب له في صفحات الدنيا صفحة جديدة ،  
سيعرف كيف يؤدي شكر الله عليها ، فيقده في نعمه ، وجلال آياته العظام !

ولم يدعه الملك بمضي مع الخيال العليل ، وإنما أخذ عليه الطريق حينما قال له :  
- فأى المال أحب إليك ؟

المال .. ! إن هذه النعمة تغنيه عن كل شيء ، فلا داعي لغيرها لتلا ينوء بحمل هذه  
النعم فلا يستطيع أداء الشكر عليها .. ولكنه علم أن هذا فضل من الله ، ولا  
خرج على فضله ، فلا مانع من أن يتشلى من الفقر والذل  
والمسكنة ، كما تشلى من الظلمات ، وآلام العمى ..

فقال في صوت هادئ :

- أحب المال إلى الغنى !

فأعطاه شاة ولوداً !



وغاب المَلَكُ مدةً طويلةً . فانتجت الناقة والبقرة ، وكذلك الشاة ..

ثم كان للأولِ وادٍ من الإبلِ لا يكاد يُحصيه العدُّ ، أو يدركه الحِصْرُ ، وكانها  
جانبه المرضُ والذَّاءُ ، فسَلِمَتْ أفرادُه سلامةً لم تدعُ للموت سبيلاً إلى هذا المكان !  
وأصبح للثاني وادٍ آخرُ من البقر ، كلُّه الصحةُ والنضارةُ ، والقوةُ الدافقةُ ،  
والنشاطُ العجيبُ !! .. وأصبح للثالثِ وادٍ من الغنم ، كلُّه البركةُ العامرةُ  
والحركةُ الدالةُ ، والخيرُ الوفيرُ !

وعجيبُ الناسُ هذه الوديان الثلاثة ، وعجيبُ الناسُ كذلك  
لأصحابِ هذه الوديان ، وتساءلوا : ماذا فعلَ بهم ؟ وماذا أريد  
بهم ؟ وما هذا النماءُ المنقطعُ النظرِ ؟ لقد كانت





تتمو هذه الأنعام كأنما هي الديدان لا حد لنموها ، ولا غاية لكثرتها ، ولا نهاية لعددتها !!

ما كنت تسمع في وادي الأول سوى أطيح الإبل ، وصوت ما ولد في الصباح أو الظهيرة أو عند الغروب أو في المساء !!

وما كنت تسمع في وادي الثاني غير خوار الثيران وصوت ما ولد في الصباح أو الظهيرة أو عند الغروب ، أو في المساء !

وما كنت تسمع في وادي الثالث سوى نعاء الشاء ، وصوت ما ولد في الصباح أو الظهيرة أو عند الغروب ، أو في المساء !!

وهكذا سعد هؤلاء الثلاثة سعادة ما كانت تخطر لأحد منهم على بال .. سعادة في البدن والجوارح ، وسعادة في المال والمتاع ، وأصبح لهم شأن آخر غير شأنهم الأول ، وعرف لهم الناس مكانتهم فأنزلوهم هذه المكانة ، ولم يعد الأبرص ، كما كان ، ولم يعد الأقرع كما كان ، ولم يعد الأعمى كما كان ، وإنما أصبحوا أعياناً يشار إليهم بالبنان . !

وهكذا تمت النعمة ، وحقت الكلمة ، فهل ستدوم لكلّ منهم نعمته ؟ أم ستؤذن نعمة أحدهم بالزوال ؟

...

وجاء الملك إلى الأبرص ، في صورة رجل أبرص فقير مسكين ، وقال له في إشفاق وحزن ورتاء :

- يا سيدي ، إنني رجل مسكين ، تقطعت به السبل ، جائع البطن ، حاوي الوفاض ، لا أملك من متاع الدنيا شيئاً ، وأنا في حاجة ماسة إلى شيء أتبلغ به ، فاسألك بالله أن تعطيني شيئاً مما أعطاك .

ولكن الرجل صمت ولم يتكلم . وكأنما شق على نفسه أن يدفع هذا البائس



شيئاً من ماله ، بيد أن الملك عاجله :

- أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن ، والجلد الحسن ، أسألك بغيراً واحداً أتبلغ عليه فى سفرى .

فقال له فى برود وصفاقة :

- إن الحقوق كثيرة . وليس عندى ما أعطيكه .

فقال الملك ، وقد ينس من اللين . وجنح إلى الشدة والعنف :

- كأنى أعرفك من قبل .

وذهل الأبرص ( قديماً ) فكيف يدعى هذا السائل القذر ، المسكين الذى شوه جلده فاستقلوه الناس ، كيف يدعى أنه يعرفه . وهو ابن السادة الأجماد ، خلق هكذا حسن اللون ، غنياً ، لا يعرف الفاقة والفقر . إن هذا تطاول على مقامه السامى ، ومنزله الرفيع .

وعبس عبوساً شديداً ، واكفهر وجهه . وحال لونه . ثم قال فى تهاله وهروب :

- كيف تدعى هذا أيها المسكين ، وأنا لم أرك قبل الآن ؟

فقال الملك فى عزم وسخرية :

- ألم تكن أبرصاً يقلرك الناس ؟ فقيراً فاعطاك الله وشفاك ؟

وهنا ثار وفار ، وقال فى حدة :

- كلاً ، لقد ورثت هذا المال كبيراً عن كبير !

فقال الملك فى هدوء وتحد :

- إن كنت كاذباً صيرك الله إلى ما كنت !

وكان كاذباً !!

فعاد كما كان ، أبرصاً فقيراً لا يملك شيئاً !

• • •

وذهب الملك إلى الأقرع .. ذهب إليه فى صورته القديمة التى كان عليها ،

أقرع فقيراً يقلده الناس ، فقال له فى مسكبة وخضوع :



— يا سيدي ، إنني رجلٌ مسكين ، تقطعت بي الخيالُ في سفري ، فلا بلاغَ اليوم إلا بالله ثم بك ! أسألك بالذي أعطاك هذا الشعرَ الحسن ، والمالَ الوفير ، بقرّة أبلغ عليها !

فقال في جحودٍ ونكران : إن الحقوق كثيرة ، وليس عندي لك شيء !  
فقال الملكُ في تحدٍّ : كاني أعرفك ! ألم تكنُ الفرعَ يشمّرُ منك من يراك ، فقيراً  
تفتححك العيون ، ثم عافاك الله ، ووهب لك هذا الشعرَ الجميل ، وأذهب عنك  
القدى ، وأعطاك المالَ الوفير ، وبارك لك فيه ؟!

ولارَ الشيطان ، ونفخ في أوداج الرجل ، وصوّر له الأمرَ على وضعٍ  
غيرِ وضعه ، فغضب وزججر وقال :

كلاً ، لم أكنُ كما تقول ، ولا صلة لي بك ! ولم أركَ قبل الآن . إنك محتلٌ



أفأك .. ولقد ورثت هذا المال كابرا عن كابر ، ولم أعرف الفقر قبل ذلك بحال من

الأحوال ، ولم أتدس كذلك بمعرفة الفقراء !

فقال الملك في هدوء :

— إن كنت كاذباً صيرك الله إلى ما كنت ..

وكان كاذباً !!

فأعاده الله إلى ما كان .. أفرغ حقيراً ، فقيراً .. !!

ثم ذهب إلى الأعمى ، على الحال التي كان عليها

من قبل ، ذهب إليه في صورة رجل أعمى ، فقير ،

لا يملك من خُطام الدنيا شيئاً ، اجتمع عليه المذلان ،

الفقر ، وفقدان البصر .. وقال له في مسكنه وظلته





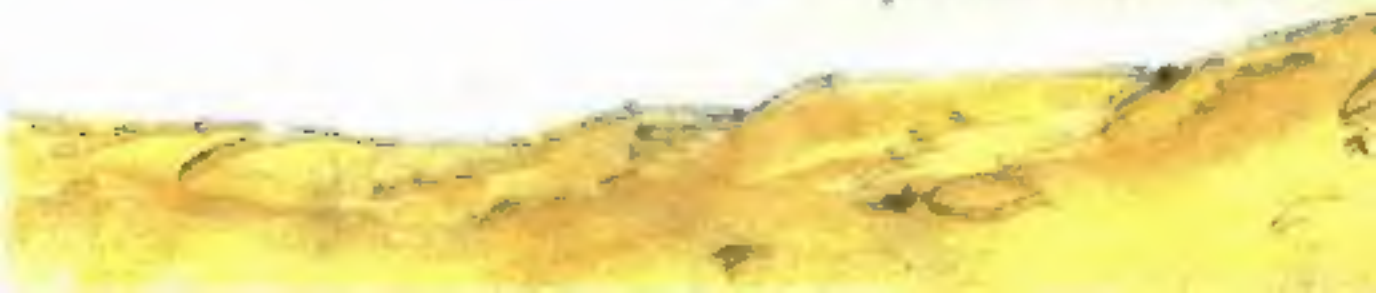
- يا سيدي ، أنا رجل مكين ، وابن سليل ، قد فقدت العائل والنصر ،  
وتقطعت بي الحبال في سفرى ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك . ١  
وارتسمت على وجه الرجل علامت الشفقة والحزن ، وآيات العطف والرثاء ،  
وكاد ينطق لولا أن الملك أردف في استعطاف :

- أسالك بالذى ردة عليك بصرك شاة ، أبلغ بها في سفرى !!  
وعجب الرجل ! كيف عرف هذا أنه كان أعمى فرد الله إليه بصره ؟ حقاً إنه  
كان كذلك ، وإنه لا ينكره ، بل يذكرُ نعمة ربّه عليه على الدوام .. كان سجيناً  
في ظلمات مطبقة لا يرى شيئاً ، ولا يمتنع بشيء ، ولا يميز بين لون ولون ،  
فأصبح يرى الناس والألوان ، ويرى طريقه إذا سار .. وكان فقيراً مسكيناً ، لا  
معين له إلا الله لا يجد الكفاف إلا بعد أن يذل من ماء وجهه ما يجعله في بعض  
الأحايين يفضل الموت على الحياة ، أما الآن ، فلقد أصبح في نعمة سابعة ، وقدرة  
على التصديق والإنفاق ..

لمن المال كله ؟ لمن النعمة التي يرقل فيها ؟ لمن هذا الفضل الوفير الذي عجز  
عن الوفاء ببعض ما يجب عليه نحو مُسدي هذا الفضل ومجزل ذلك العطاء ؟ لمن  
هذا كله ؟ .. لله .. !!

وانطلق صوته في حزم وعزم :

- حقاً ، كنت أعمى ، فرد الله بصري ، وفقيراً فأغناني الله ، فخذ ما شئت ،  
فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته الله ..



وصمت الرجل ، وقد شعر بشيء من الراحة لما قال ، وأنه فعل بعض ما يجب عليه ، وخشي أن يكون قصر في شيء .

ولكن السائل لم يعين شيئاً من الأغنام ، ولم يتجهز هذا الكريم البالغ فيختار ما يريد ، ولكنه عفاً عن هذا كله وقال في هدوء واطمئنان .  
- أمسك عليك مالك ...

ودعش الرجل ، وخجل إليه أنه لابد وقد حدث شيء كثر غاظر السائل ، أو جعله يحس بشيء من جرح الكرامة ، وحاول أن يسأله عن السبب لولا أن السائل أودف :

- فإفما ابتليتم ، فقد رضي الله عنك ، وسخط على صاحبيك .. !!

...

وشاعت هذه الحادثة في بني إسرائيل ، وأصاحت لها الأذان ، وتفتحت لها القلوب ، ووضع كل إسرائيلي يده على قلبه خشيةً ووجلاً ، فمن يدري ، هل يبتليه الله بلون آخر من أنواع الاجلاء ؟ وإذا كان فماذا تكون نتيجة هذا الاختبار ؟ أجحودٌ وكران ؟ وبخلٌ وإمساك ، أم فعلٌ وشكران ؟

واتجهت القلوب حيناً إلى الله ، واتصل ما بين الأرض والسماء ، ثم عادت أخيراً للمال سطوته وقوته على هذه القلوب التي لا تعترف إلا بالمال . !

